Journal of Languages & Translation
P-ISSN: 2716-9359 E-ISSN: 2773-3505
Volume 05 Issue 02 July 2025 pp.489-499

الممارسة النّصيّة في كتاب التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور (ت1394هـ)

Textual practice in the Book of Liberation and Enlightenment by Al-Tahir bin Ashour (d. 1394 AH)

عقيلة أرزقي[1]

جامعة الجزائر 2، الجزائر

akila.arezki@univ-alger2.dz

0009-0006-5377-5389

Received *16/07/2024* ***Accepted*** *15/01/2025* ***Published*** *01/07/2025*

الملخص

تكشف هذه الدراسة الموسومة بـ: الممارسة النّصيّة في كتب التفاسير :قراءة في كتاب التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور (ت 1394هـ) عن الملامح النصيّة البارزة في تفسير الطّاهر بن عاشور، من خلال مقاربة تحليلية لكتابه "التّحرير والتّنوير " في ضوء علم **نحو النص القرآني** .وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الآليات النصيّة الإجرائيّة التي استند إليها المفسّر في بناء تفسيره، بما يبرز تماسك النص القرآني وانسجام معانيه واتّساق مبانيه، وهو ما يعكس فهما عميقًا للمكوّنات النصيّة والمعايير التداولية التي تشكّل لبّ الدراسات اللسانية الحديثة. وقد انطلقت الدراسة من الإشكالية الآتية : ما **الآليات النصيّة التي انتهجها ابن عاشور في تفسيره لبيان التماسك النصي للقرآن الكريم؟ وكيف ساهم من خلالها في إثراء الحقل المعرفي لنحو النص؟** وللإجابة عن ذلك، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لمثل هذه المقاربات النصيّة التي تتطلّب الوقوف عند المصطلحات والمفاهيم، ثم تحليلها في ضوء البنية الخطابية للنص القرآني. وقد كشفت النتائج عن وعي ابن عاشور العميق بمفاهيم التماسك والاتّساق، واستيعابه للروابط النصيّة والسياقية والبلاغية التي تسهم في خلق الانسجام المعنوي بين أجزاء النص القرآني، كما أظهرت الدراسة أنّ الكثير من هذه المفاهيم، وإن اتخذت صيغًا حديثة في الدرس الغربي، فإنّ جذورها ضاربة في التراث اللغوي والبلاغي العربي، وهو ما يؤكّد أسبقية الدرس العربي في تناول الظواهر النصية بشكل متكامل وواعٍ.

الكلمات الدالة: الممارسة النّصيّة; كتب التفاسير ; كتاب التّحرير والتّنوير; للطّاهر بن عاشور .

---

[1] [1] المؤلف المراسل: عقيلة أرزقي akila.arezki@univ-alger2.dz

Journal of Languages & Translation © 2025. Published by University of Chlef, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Abstract

This study explores the textual practices employed by the prominent scholar Al-Tahir Ibn Ashur in his exegetical work *Al-Tahrir wa Al-Tanwir*, focusing on the mechanisms he used to establish textual cohesion and coherence within his interpretation of the Qur'anic text. The research analyzes Ibn Ashur's approach in light of Qur'anic text grammar, aiming to uncover the procedural and rhetorical strategies that contribute to a structurally and semantically harmonious reading of the Qur'anic discourse. To this end, the study is guided by two central questions: What are the textual mechanisms that Ibn Ashur employed to reveal the coherence of the Qur'anic text? And how did his exegetical methodology contribute to the enrichment of the field of Qur'anic textual studies? In addressing these questions, the research adopts a descriptive-analytical approach suited to textual analysis, allowing for a systematic exploration of key concepts and terminologies relevant to text linguistics. Through this method, it becomes evident that Ibn Ashur demonstrated a profound understanding of principles now associated with modern textual grammar—principles that are, in fact, deeply rooted in classical Arabic linguistic and rhetorical traditions. The study ultimately reveals that many concepts championed by contemporary Western textual studies were already embedded in the Arab-Islamic intellectual heritage. Ibn Ashur's commentary thus stands as a testament to the sophistication of classical Arabic scholarship in articulating textual unity, coherence, and interpretive depth in Qur'anic discourse.

Keywords; Textual practice; books of interpretations; the book of liberation and enlightenment; by Al-Tahir bin Ashour.

مقدمة

تجاوزتِ اللّسانيّات النصيّة حدود البنية اللّغويّة الصغرى وهي الجملة إلى بينة لغويّة كبرى وهي النّص، وقد اعتبر النّص محور ارتكاز الدّراسات اللّسانيّة النّصيّة المعاصرة، فمن خلاله تظهر الرّوابط النّصيّة الّتي تشدّ عضده، فمفهوم النّص يحيل على شبكة معطيات متنوّعة تُسهم كلّها في إخراج النّص إلى آفاق أوسع وحدود أبعد؛ فهو في حقيقته ليس مجموع جمل فحسب بل هو علائق وصفيّة ودلاليّة بين هذه الجمل تحقّق باتّحادها وحدة نصيّة شاملة.

وبالرّجوع إلى التّراث العربيّ نجد إشارات واضحة عن ذلك الاتّحاد في عناصر النّص أثناء دراستهم التّحليليّة في مختلف مصنّفاتهم اللّغويّة منها - نحوا وبلاغة وغيرهما- والنّقديّة أو تلك المتعلّقة بالعلوم القرآن - تفسيرا وتأويلا وقراءة وغيرها- على نحو ما كان عند سيبويه (ت180ه) في كتابه، والجاحظ (ت225ه)في بيانه، والباقلاني (ت403ه) في إعجازه، والجرجاني (ت471ه) في دلائله، وابن كثير (ت 774ه) في تفسيره، فشكّلت أعمالهم بذورا نصيّة في التّراث العربيّ، رغم أنّ للغربيّين الفضلَ في تقنين هذا العلم، إلاّ أنّه لا يخفى علينا جهود القدامى الّذين أحرزوا السّبق في هذا الحقل المعرفيّ، وإن لم يحدّدوا مصطلحاته إلاّ أنّ مفاهيمه كانت مستقرّة في أذهانهم متجلّية في مصنّفاتهم.

وانطلاقا من تلك المنطلقات النّصيّة، جاءت هذه الأوراق البحثيّة الموسومة بـ: **"الممارسة النّصيّة في كتب التفاسير: قراءة في كتاب التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور (ت1394ه)"** كاشفة عن الملامح النّصيّة عند الطّاهر بن عاشور من خلال كتاب التّحرير والتّنوير في ضوء نحو النّص القرآنيّ بيانا للآليات النّصيّة الإجرائيّة الّتي اتّبعها المفسّر في كتابه محقّقا ارتباطا نصّيّا متّسق المباني منسجم المعاني.

وتحقيقا لذلك كانت لنا الإشكاليّة التّالية: ما الآليات النّصيّة الّتي انتهجها الطّاهر بن عاشور في كتابه ليبرز تماسك النّص القرآني؟ وكيف أسهم هذا المفسّر في إثراء هذا الحقل المعرفيّ؟

وللإجابة عن ذلك سنتّبع المنهج الوصفيّ المناسب لمثل هذه الدّراسة النّصيّة بعد الوقوف على مصطلحات البحث ومفاهيمه، وهذا تفصيله:

1. مفاهيم نصيّة.

11.. مفهوم النّص عند العرب والغرب.

يعدّ تحديد مفهوم مصطلح النّص من بين أكثر المباحث صعوبة خاصّة في التّراث العربيّ؛ وذلك نظرا لتعدّد المنطلقات الفكريّة واختلاف الاتّجاهات المعرفيّة، وعليه سنوجز الحديث عن ذلك بالوقوف على أهمّ المفاهيم العربيّة منها والغربيّة.

بعد تتبّع المادّة المعجميّة للمصطلح وجدناه يرجع إلى مادّة (نَ صَ صَ) الّتي تعني الرفع بنوعيه الحسيّ والتّجريديّ وأقصى الشّيء وغايته، يقال: « نصَّ الحديث رفعه... وكلّ ما أظهر فقد نص، ويقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وأصل النّص أقصى الشّيء وغايته، ونص الرّجل نصه إذا سأله عن شيء حتّى يستقصي ما عنده، ونصّ كلّ شيء منتهاه» (ابن منظور، (د.ت)، الجزء7، الصّفحة108-109)

أمّا عن دلالة الكلمة اصطلاحا فنجدها لا تبعد عن حدود الدّلالة اللّغويّة، فهي الأخرى تدور حول الرّفع والظّهور؛ وإن كان يصعب تحديد دلالتها تحديدا جامعا لتعدّد الجوانب الّتي يُنظر من خلالها إلى هذا المصطلح كالجانب الدّلاليّ أو الجانب التّداوليّ، أو الجانب السّياقيّ أو الوظيفيّ، أو الجانب التّواصليّ، وقد شكّلت هذه المنطلقات منظومة مفاهميّة رئيسة تحدّد نصيّة النّص من عدمها.

ومن أهمّ تعريفات النصّ في التّراث العربيّ ما أورده الشّريف الجرجاني (ت816ه) في كتابه؛ حيث قال: « ما زاد وضوحا على الظّاهر بمعنى في المتكلّم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، كما يقال: أحسنوا إلى فلان الّذي يفرح بفرحي ويُغَمّ بغمّتي كانتصّ نصا في بيان محبته» (الشّريف الجرجانيّ، 1985م، الصّفحة130)

وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يرد مصطلح النّص في المصنّفات النّحاة واللّغويّين المتقدّمين، وإنّما كان يعبّر عنه بالمصطلحات التّاليّة: الكلمة، والقطعة، والقصيدة، والشّعر على نحو ما نجده عند الجرجانيّ (ينظر: عليان، 2011م، الصّفحة 193)، وهذا لا يتنافى مع إدراكهم للدّلالة الاصطلاحيّة، فعدم ظهوره بمصطلح نفسه لا يستوجب عدم ظهوره بمفهوم ذاته، فالنّاظر في مؤلّفاتهم يدرك بوضوح قراءاتهم الدّقيقة الّتي تدلّ دلالة واضحة على مدى تفطّنهم لمفهومه الاصطلاحيّ.

أمّا عن مفهومه عند الغرب فنجد "فولفغانغ إيزر" يشير إلى صعوبة تحديد مفهومه، إذ يقول: « النصّ الأدبيّ كينونة قابلة للتّعريف، غير أنّه إذا كان شيئا فهو حدث دينامي» (فولفغانغ، 1994م، الصفحة11)، وهذه الصّفة الّتي أعطت للنّص تجعله في حركة مستمرّة، وتفتح أمامه قراءات عديدة تتجاوز نظرة الكاتب نفسه، وهو ما نجده في مفهوم النّص عند الناقدة جوليا كريستيفا؛ حيث تقول: « النّص الأدبيّ يخترق حاليا وجه العلم وإيديولوجيا والسّياسة، ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها» (كريستيفا، (د.ت)، الصّفحة13).

ففي عبارة: "ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها" إشارة إلى قراءة النّص بعد هدمه بفكّ شفرته، وإعادة بنائه بناءً يتكيّف مع نظرة المتلقّي لا مع نظرة صاحب النّص، أمّا روبار دي بوجراند فيعرّفه قائلا: «هو تشكيلة لغويّة ذات معنى تستهدف الاتّصال» (الصّبيحي، 2008م، الصّفحة9)، فالنّص من منظوره وحدة دلاليّة تواصليّة.

ويظهر ممّا سبق، الاختلاف الواضح في مفهوم النّص في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ نتج عن اختلاف النّظرة الّتي ينظر من خلالها إلى النّص، وهو ما يؤكّده قول سعيد بحيري: « لا توجد مصاعب تواجه علماء العلوم مثلما هو الحال بالنّسبة إلى علماء علم لغة النّص؛ حيث أنّه حتّى الآن وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعليّ، لم يتحدّد بدرجة كافيّة، بل إنّه مسمّى لاتّجاهات وتصوّرات غاية في التّباين، وفرع غاية في الاختلاف» (بحيري، 1997م، الصّفحة115).

ولكنّها تتّفق جميعا في أنّ النّص مجال لغويّ واسع يشكّل وحدة دلاليّة، تجمع بين عناصره علاقات وروابط محقّقة هندسة بنائيّة متماسكة تشدّ بعضها بعضا.

2.1 بذور التّماسك النّصيّ في المدوّنة العربيّة.

يحمل مصطلح التّماسك النّصيّ في اللّغة معنى الصّلابة والمتانة والقوّة والتّرابط (الزّمخشريّ، 1422ه، الصّفحة900)، أمّا في الاصطلاح فيحيل إلى « خاصيّة نحويّة للخطاب تعتمد على علاقة كلّ جملة منه بالأخرى، وهو يَنشأ غالبا عن طريق الأدوات الّتي تَظهر في النّص مباشرة كأحرف العطف، والوصل والتّرقيم وأسماء الإشارة وأداة التّعريف والاسم الموصول وغيرها... إلخ» (إبراهيم خليل، 2007م، الصّفحة219)؛ ذلك أنّ النّص هو بنية متّحدة المكوّنات بينها علاقات تواصليّة إبلاغيّة تحقّق انسجاما في المبنى والمعنى.

وبناء عليه، فإنّ فكرة التّماسك النّصيّ تشكّل بيئة لغويّة تتّصف بالانسجام والتّرابط بين أجزائها تَنتظم على نحو خاصّ بطرق عقليّة مشكّلةً نسيجا نصيّا متعاضدا محقّقا التّواصل الدّاخلي بين عناصر التّركيب شكلا ومضمونا والتّواصل الخارجيّ؛ أي علاقته بالمتلقيّ.

وفي حديثنا عن هذه الهندسة البنائيّة، نجد أنّ" **دي بوجراند"** قد حدّد سبعة معايير جعلها شرطا لاستحقاق صفة النّصيّة، وقد كان من الأوائل المتحدّثين عنها في كتابه **النّص والخطاب والإجراء**؛ حيث قال: « النّص حدث تواصليّ يلزم لكونه نصّا أن تتوفّر فيه سبعة معايير للنّصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير» (دي بوجراند، 1998م، الصّفحة105)، وهي: السّبك أوِ الرّبط النّحويّ، الحبك أو التّماسك الدّلاليّ، القصد، القبول أو المقبوليّة، الإعلاميّة، المقاميّة، التّناظر (ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها).

وبالرّجوع إلى التّراث العربيّ، وبعد استقراء بعضه، نجد أنّ اللّغويّين العرب قد أدركوا أنّ النّص هو وحدة متكاملة، وذلك من خلال إشاراتهم إلى تلك المعايير النّصيّة في مصنّفاتهم في معرض حديثهم عن مسألة من مسائل علم اللّغة أو علم التّفسير، وقد شكّل ذلك نظريّة نصيّة قائمة على تحقيق سبك أجزاء النّصوص وحبكها في ضوء علاقات تصنع من النّص نصّا.

وقد تنبّه "الإمام الشّافعيّ" (ت294ه) إلى النّظرة الكليّة للنّص من أجل الوصول إلى الدّلالة الصّحيحة، ويمكننا الاستدلال بقوله؛ حيث يقول: « إنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان ممّا تعرف معانيها اتّساع لسانها، وأنّ فطرته أن يخاطب بالشّيء منه عامّا ظاهرا يراد به العامّ الظّاهر، ويُستغنى بأوّله هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به الخاصّ...، وظاهرا يعرف في سياقه، أنّه يرد به غير ظاهره، وكلّ هذا موجود علمه في أوّل الكلام أو أوسطه أو آخره، وتبتدئ الشّيء من كلامه بين آخر لفظها عن أوّله » (الشّافعيّ، 1940م، الصّفحة51-52)، فهذا قول ينبّه على العلاقة بين مفهوم النّص وجمله وفقراته بعلاقة كليّة، تشكّل بنية شاملة.

هذا، وقد ظهرت تلك الإشارات أيضا عند "**سيبويه"** (ت180ه) في كتابه عند حديثه عن باب "الاستقامة والإحالة"؛ إذ أدرج فيه الثّالوث النّصيّ المتكوّن من: المُتكلّم، والمتلقّي، والسّياق مشكّلا بناء موحّدا (ينظر: سيبويه، 1985م،، الجزء1، الصّفحة25-26)، ففي حديث "**سيبويه"** عن الإحالة نجده قد اعتبرها أداة من أدوات السّبك، من منطلق أنّها تربط العنصر المحيل بالعنصر المحال إليه، ونجده قد ركّز في ذلك على الإحالة الإشاريّة (ينظر: المصدر نفسه، الجزء2، الصّفحة130)، وهو المفهوم الدّلاليّ ذاته نجده عند "**جون لاينز"** الّذي ذكره بقوله: « إنّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل على مسمّيات»، كما نجده الذي عند "**هاليداي ورقية حسن"** (ينظر: خطابي، 1991م، الصّفحة16-18)، فقد استعمل هذان الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا يقترب ممّا كان عند سيبويه، ذلك أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل؛ إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتملك كلّ لغة خاصيّة الإحالة، وهي: الضّمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، وقد قسّما الإحالة إلى: مقاميّة (خارج النّصّ) ونصيّة (داخل النّص قبليّة منها وبعديّة).

ولسيبويه في كتابه أيضا إشارات تتوافق مع معايير مختلفة من المعايير الّتي أقرّها "**دي بوجراند"** فيما بعد كالاتّساق وأدواته، والمتمثّلة في الإسناد الّذي يمثّل رابطة معنويّة لا يمكن الاستغناء عنها، وقد وضّحها في باب المسند

والمسند إليه (ينظر: الكتاب، الجزء1، الصّفحة23)؛ ذلك أنّ الإسناد يمثّل أحد أدوات الاتّساق الّتي تساهم في ربط النّصوص في بناء منتظم موحّد، فضلا عن أدوات الرّبط الأخرى كالتّكرار، والحذف، حروف العطف وأسماء الإشارة وغيرها.

وقد كان للإمام "**الجرجاني**" (ت471ه) في هذا المجال باع طويل من خلال نظرية النّظم، فهو يؤكّد من خلالها أنّ النّظم هو توخي معاني النّحو، ووضع الألفاظ موضعها في التّرتيب والتّأليف، فالنّاظر إلى كتاب دلائل الإعجاز سيقف عند الكثير من المفاهيم الّتي جاءت بها لسانيات النّص كالاتّساق والانسجام، ويظهر ذلك من خلال نظريّته، كما نجده مدركا لأثر علم النّحو في خدمة النّص؛ حيث قال: «اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرّسوم الّتي رسمت» (الجرجاني، 2003م، الصّفحة127).

ومن المنطلق نفسه، اهتمّ الجرجاني بالكشف عن سرّ تركيبة النّص القرآني الّذي يعتمد على الانسجام والاتّساق اللّذين أصبحا من المصطلحات المحوريّة في اللّسانيات النّصيّة المعاصرة، ونجده يشير أيضا إلى قضيّة التّحليل النّصيّ، فقد قال: « تأمّلوا سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يُرى أنّ غيرها أصلح أو أشبه أو أذلق، بل وجدوا اتّساقا يبهر العقول، وأعجز الجمهور نظاما وإتقانا وإحكاما» (المصدر نفسه، الصّفحة39).

وما تجدر الإشارة إليه أنّ نظريّة النّظم سعت إلى إثبات أنّ القرآن الكريم معجز بنظمه وتركيبه، فبلاغته إنّما تكمن في ارتباط مبناه بمعناه مع مراعاة مقضى المقام، ليظهر ترتيب الكلام في قالب محكم البناء، متين الحبك يتحقّق بهما الإفصاح وتحصل الفائدة، وفي ذلك يقول: « واعلم أنّ مّما هو أصل في أن يدقّ النّظر، ويغمض المسلك في توخي المعنى الّتي عرفت، أن تتّخذ أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثان منها بأوّل، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النّفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ههنا، وفي حال ما يضع بيساره هناك» (المصدر نفسه، الصّفحة137).

إنّ اهتمام الجرجاني بالإعجاز القرآني جعلته يضع نظريّة النّظم الّتي تقترب في مفهومها بمفاهيم الدّراسات النّصيّة المعاصرة، فقد عالج فيها قضايا نحويّة وبلاغيّة عديدة، وفي المساق نفسه، نجد للنّقد العربيّ القديم إشارات لافتة تلخّص جهود أصحابها في إظهار التّماسك النّصيّ، وتكشف عن ملامح النّظم، ولعلّ قصّة الّتي ساقها الجاحظ (ت255ه) تبيّن ذلك، فيقول: « وقال بعض الشّعراء لصاحبه، أنا أشعر منك، قال: ولِمَ؟، قال: قال: لأنّي أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمّه، وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقّه أن يوضع إلى جنبه» (الجاحظ، (د.ت)، الجزء1، الصّفحة68).

ويظهر من قوله إشارته إلى رصد العناصر الّتي تُظهر تراسل معاني النّفس مشكّلة وحدة نصيّة، ففي « الأخوّة والعمومة إشارة إلى درجة قوّة التّرابط الدّلاليّ بين سلاسل المنطوقات المتتاليات، ممّا يصير به النّص كلا موحّدا»، والجاحظ في ذلك قد لامس ثنائيّة السّبك والحبك والّتي ظهرتا تحت مصطلح الانسجام والاتّساق ، فهما « من أهمّ المقوّمات النّصيّة المشتركة الّتي وقف عندها اللّسانيون البلاغيّون منذ القرن الثّالث هجريّ» (المرجع نفسه، الجزء1، الصّفحة59).

ولعلماء القرآن عامّة وللمفسّرين خاصّة إشارات لسانيّة لا تبتعد عن حدود ما ذكرناه آنفا، فقد كانت نظرتهم إلى النّص القرآني نظرة كاملة، نظرة جعلته آية واحدة، مؤكّدين تماسكه اللّغوي والدّلاليّ ومناسبته للسّياق المقاميّ، فكانت تحليلاتهم دقيقة تنطلق من فكرة شاملة.

ولم يكنِ الّشيخ الطّاهر بن عاشور ببعيد عن قضيّة تّماسك النّص القرآنيّ في مصنّفه التّحرير والتّنوير، فقد اشتمل هذا الأخير على لطائف بلاغيّة ساعدت في إظهار ذلك التّماسك الّذي يعدّ مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآنيّ.

2. آليات تماسك النّص القرآني في كتاب التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور.

لا شكّ أنّ لأسلوب القرآن دلالةً على إعجازه بحسن نظمه، وقوّة سبكه، وبراعة نسجه، وارتباط آياته، وقد كشف عن ذلك ابن عاشور في تفسيره على نحو ما نجده في المقدّمة الثّامنة المعنونة بـ: "في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها" مبرزا مزية المناسبة بين فواتح السّور، حيث يقول: « هذا غرض له مزيد اتصال بالقرآن، وله اتصال متين بالتّفسير؛ لأنّ ما يتحقّق فيه ينتفع به في مواضع كثيرة من فواتح السور، ومناسبة بعضها لبعض فيغني المفسر عن إعادته» (الطّاهر بن عاشور، 2000م، الجزء1، الصّفحة69)، وفي ذلك إشارة إلى التحامها دلاليّا عملا بقانون التّماسك النّصيّ الّذي يؤكّده قوله: « وات ّساق الحروف واتّساق الآيات واتّساق السّور كلّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض. أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل» (المصدر نفسه، الجزء1/ الصّفحة78).

كما يؤكده تفسيره لقوله تعالى: ((**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**)) [البقرة:238] « ولا يخلو ذلك من مناسبة في المعاني، أو في انسجام نظم الكلام، فلعلّ آية {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} نزلت عقب آيات تشريع العدة والطلاق، لسبب اقتضى ذلك: من غفلة عن الصلاة الوسطى، أو استشعار مشقة في المحافظة عليها، فموقع هذه الآية موقع الجملة المعترضة بين أحكام الطلاق والعدد، وإذا أبيت ألاّ تطلب الارتباط فالظّاهر أنّه لما طال تبيان أحكام كثيرة متوالية: ابتداء من قوله: {يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} [البقرة:215]، جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة: وهو قوله: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة:237]» (المصدر نفسه، الجزء2، الصّفحة444).

والمتأمّل لتفسير ابن عاشور يجد اعتناءه بالرّبط الإحاليّ بمختلف أنواعه، كالتّكرار والضّمائر وأسماء الإشارة وغيرها.

يعدّ التّكرار أيقونة الرّبط في النّص القرآني، وقد تنبّه لذلك ابن عاشور، ومن نحوه تفسيره لقوله تعالى: ((**نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ**)) [آل عمران:3-4]، ففيه إخبار بأنّ القرآن منزّل من الله الّذي أنزل قبله التّوراة والإنجيل لا من الشيطان أو من غيره، وفي ذلك إبطال لمزاعم المشركين المشكّكين.(ينظر: المصدر نفسه، الجزء3، الصّفحة9).

وقد أشار إلى التّكرار اللّفظيّ في شبه الجملة " ث" الّتي تحيل إلى ربط لفظيّ في سورة أخرى والشّاهد قوله: ((**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**)) [الإسراء:105]، أمّا قوله: ((**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**)) بمعنى: «مصدّق للكتب السّابقة له» (المصدر نفسه، الجزء3، الصّفحة9) أي " **وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ** " زيادة في الإيضاح، كما أنّ قوله: " **مِن قَبْلُ** " " المذكورة في الآية الّتي بعدها ((**مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ**)) متعلّقة بفعل "أنزل" مستهل الآية الثّالثة استنادا لقول ابن عاشور: «{مِنْ قَبْلُ} يتعلّق {بأنزل}» (المصدر نفسه، الجزء3، الصّفحة10)، كما تعلّقت بالفعل المذكور في الآية نفسها، أمّا كلمة "فرقان" فالأخرى تتعلّق معنويّا بكلمة "كتاب" المذكورة قبلها.

ليصبح معناه المتكامل « يا محمد، إنّ ربك وربَّ عيسى وربَّ كلّ شيء، هو الرّبّ الّذي أنزل عليك الكتاب يعني القرآن، "بالحق" يعني: بالصّدق فيما اختلف فيه... وفيما خالفك فيه محاجُّوك من نصارى.. وسائر أهل الشّرك غيرهم، "مُصَدّقًا لما بين يديه" يعني بذلك القرآن، أنّه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رُسل الله من عنده؛ لأنّ منزل جميع ذلك واحد» (الطّبريّ، 200م، الصّفحة137).

وفضلا عن وعيه بأهميّة التّكرار في هذه الآية، تجدر الإشارة إلى:

*اعتماد المفسّر على الإحالة السّياقيّة القبليّة داخليّة، باعتبارها أهمّ أداة من أدوات السّبك، من منطلق أنّها تربط العنصر المحيل بالعنصر المحال إليه، وهو المفهوم ذاته وجدناه عند سيبويه وهاليداي ورقية حسن.

*اعتماد المفسّر على الإحالة المقاميّة الخارجيّة، عندما استشهد بما قاله الجرجاني في معرض تفسيره للآية، كما يظهر تطابق مفهوم المصطلح عنده ومفهوم هاليدي ورقيّة حسن.

*تأثّر ابن عاشور بالجرجاني حين وظّف قانون "التّعليق" مصطلحا ومفهوما.

* مناسبة الفعلين المعطوفين للمقام توظيفهما؛ حيث ناسبت دلالة الفعل المضعّف "نزّل" الدّال على كثرة النّزول القرآن الكريم بينما ناسب الفعل "أنزل" الدّال على غير ذلك التّوراة والإنجيل اللّذين نزلا جملة واحدة، ممّا يؤكّد أهميّة عطفهما الّذي أبرز تماسكهما دلاليّا.

* أسهمت آلية المناسبة في اتّساق النّص القرآنيّ شكلا وانسجامه دلالة.

ومن أمثلة التّكرار قوله تعالى: ((**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**)) في [الكهف:75]، وقوله: [الكهف:78]، وقوله: ((**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**)) ((**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**)) [الكهف:82]، فقد شكّل تكرار " **مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** " عضويّة متكاملة في القصّة لتعلّق البداية بالنّهاية، فضلا عن ما يحمله ذلك التّعاضد من دلالات، فهي تكشف استعجال موسى، فجاء التّكرار« تأكيدا للتّعريض باللّوم على عدم الصبر» (المصدر نفسه، الجزء15، الصّفحة120)، كما قد يكون تكرار اللّفظ قصد التّهويل على نحو تفسيره لقوله تعالى: ((**الْحَاقَّةُ (1 (مَا الْحَاقَّةُ) 2 (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) 3 (**)) [الحاقة:1-3]، وعلى نحو تفسيره لقوله تعالى: ((**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) 21(**)) [الفجر:21] الّذي ربطه دلاليّا بالآية 14 من سورة الحاقة «وقوله: وهذا يلائم ما في وصف دك الأرض في سورة الحاقة بقوله تعالى: {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} [الحاقة:14]، ودفع المنافاة بين هذا وبين ما في سورة الحاقة... والعرب تكرر الشيء مرتين فتستوعب تفصيل جنسه باعتبار المعنى الذي دل عليه لفظ المكرر، فإذا قلت: بينت له الكتاب بابا بابا فمعناه بينته له مفصلا باعتبار أبوابه» (المصدر نفسه، الجزء30، الصّفحة 297).

ومن خلال ذلك يظهر أنّ لابن عاشور وقفاتٍ لافتة عن التّكرار بيانا لأهميّته في تحقيق تماسك النّص القرآنيّ، كما أنّه ذكر متسائلا عن نوع أخر من التّكرار يكون في القصّة لما تحمله من خصائص تختلف عن باقي النّصوص، وقفات مثّلت نظرة ابن عاشور للتّكرار الّذي لا تبعد عن نظرة البلاغيين القدامى وعلماء التّفسير، إلاّ أنّه لم يقف عند حدود ذلك بل تجاوزه إلى ذكر دلالته من خلال تفسير القرآن وذلك تبعا لنوع التّكرار.

أمّا إجابة سؤاله فقد تجلّت بذكره لأهمّ مقاصد تكرار القصّة سواء في القرآن الكريم أم في غيره، وهذا بيانه:

« أحدها: رسوخها في الأذهان بتكريرها.

الثاني: ظهور البلاغة، فإنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السّابق مع تفنّن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية. وتفنّن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللّغة باستعمال المترادفات مثل: {وَلَئِنْ رُدِدْتُ} [الكهف:36]. {وَلَئِنْ رُجِعْتُ} [فصلت:50]. وتفنن المحسنات البديعيّة المعنويّة واللفظيّة ونحو ذلك كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة. فذلك وجه من وجوه الإعجاز.

الثّالث: أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم، فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من تطلبه من حافظيه» (المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة67-68).

فضلا عن مزيّة تجنّب تطويل الحكاية الواحدة فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع وبذكر آخر في موضع آخر، وفي ذلك إشارة إلى دلالة التّكرار على الإيجاز النّافع.

وقد تفطّن ابن عاشور إلى ربط النّص القرآنيّ بالإحالة الإشاريّة والضّميريّة سواء داخله أم خارجه، مشيرا إلى دورهما البارز في كشف ما تحيل إليه، فكان هذا النّوع من الإحالة من بين ما عوّل عليه في فهم مغاليق آي الذّكر الحكيم، وتجدر الإشارة أنّ مفهوم ابن عاشور ذاته في حقل الدّراسات النّصيّة الّذي لا يختلف عن مفهوم الغربيين، ممّا يدلّ على أسبقيّته عليهم في هذا الحقل، ومن وقفاته نذكر على سبيل التّمثيل:

تفسيره لقوله تعالى: ((**ألم 1 ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ 2**)) [البقرة:1-2]، وقد اختار في تفسيرها رأي صاحب الكشّاف الّذي جوّز على احتمال أن تكون الحروف المقطّعة في هذه الآية وفي غيرها بغرض التّهجي لتثبيط المشركين للإتيان بمثله، وأن يكون اسم الإشارة مشارا به إلى {الم} باعتباره حرفا مقصودا للتعجيز (ينظر: المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة216)؛ فاسم الإشارة "ذلك" يحيل إلى حروف التّهجي "ألم" إحالة لغويّة قبليّة قريبة، دون أن يستبعد أن يحيل أيضا إلى إحالة غير لغويّة أو مقاميّة؛ بمعنى تلك الحروف هي جزء من القرآن كلّه، والشّاهد قوله: «يجوز أن تكون الإشارة إلى جميع القرآن ما نزل منه وما سينزل» (المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة217).

كما يتابع ابن عاشور في إظهار دور الإحالة الإشاريّة في تعاضد النّص القرآنيّ في تفسيره لقوله تعالى: ((**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)) [البقرة:5]، «واسم الإشارة متوجه إلى {الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 180] الذين أجري عليهم من الصفات ما تقدم، فكانوا فريقين. وأصل الإشارة أن تعود إلى ذات مشاهدة معينة إلا أن العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع» (المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة238)، فالسّامع يعلم أنّ اسم الإشارة يحيل إلى المؤمنين المتّقين المفلحين، كما يدرك السّامع أنّ ذلك الاسم يحمل دلالة الإشارة إلى البعيد، وهو نجده أيضا في اصطلاح الغربيّين بالإحالة البعيدة ممّا يظهر فطنة ابن عاشور بخصوص ذلك.

كما تفطّن إلى دور الضّمير في الدّلالة على العموم من خلال تفسيره لقوله تعالى: ((**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا 20**)) [الكهف:20]، «وجملة {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} علّة للأمر بالتّلطّف والنّهي عن إشعار أحد بهم. وضمير {إنّهم} عائد إلى ما أفاده العموم في قوله {وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}، فصار {أحدا} في معنى جميع النّاس على حكم النّكرة في سياق شبه النّهي» (المصدر نفسه، الجزء15، الصّفحة40)، والظّاهر أنّ الإحالة بالضّمير قد ساعدت في إبانة المعنى الدّال على النّهي من خشية إيذائهم أو إرجاعهم إلى سيرتهم الأولى.

أمّا قوله تعالى: ((**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**)) [الكهف:21]؛ أي أعثرنا عليهم حين تنازعوا أمرهم. وصيغ ذلك بصيغة الظرفية للدلالة على اتصال التنازع في أمر أهل الكهف بالعثور عليهم بحيث تبادروا إلى الخوض في كرامة يجعلونها لهم (ينظر: المصدر نفسه، الجزء5، الصّفحة45)، فضمير "يتنازعون" و"بينهم" عائدان إلى ما عاد الله ضمير "ليعلموا" ، أمّا ضمير "أمرهم" يجوز أن يعود إلى أصحاب الكهف، ويجوز أن يكون ضمير "أمرهم" عائدا إلى ما عاد عليه ضمير "يتنازعون"؛ أي شأنهم فيما يفعلونه بهم.

ويظهر بجلاء اهتمام ابن عاشور بوظيفة الإحالة الضّميريّة، والمتمثّل في تجلية المضمر وإبانة معناه الصّحيح، وهو ما يسهم في اتّساق نصّ القرآن الكريم وانسجام عناصره.

أمّا قوله تعالى: ((**نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)) [القصص:3]، فهنا يقصّ الله عزّ وجلّ على سيّدنا محمّد (ص) قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون وقارون، فكما لم تنفعهما مع كفرهما قرابتهما من موسى عليه السّلام كذلك لن تنفع قرابة قريش لمحمّد عليه الصّلاة والسّلام (القرطبي، 2003م، الجزء13،

الصّفحة248)، لذا كان في استحضار قصّة موسى عليه السّلام مع قومه عبرة لغيره، بدلالة قوله: «{نَتْلُو عَلَيْكَ} للتّشويق لهذا النبأ لما فيه من شتى العبر بعظيم تصرف الله في خلقه... وجعلتِ التلاوة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنّه الّذي يتلقى ذلك المتلو. وعبّر عن هذا الخبر بالنّبإ لإفادة أنّه خبر ذو شأن وأهمية » (التّحرير والتنّوير، الجزء20، الصّفحة7-8)،فجعل ذلك التّشويق مقدّمة دالّة على الرّبط المعنويّ لما سيأتي بعدها من آيات.

أمّا قوله: " **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** " فنجد المفسّر ربطها بما فسّر به قصة موسى وفرعون في سورة الشّعراء وسورة النّمل (ينظر: المصدر نفسه، الجزء20، الصّفحة8)، كما ربطها بما بعدها ((**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**)) [القصص:4] لما فيها من توضيح وبيان، والشّاهد قوله: « وهذه الجملة وما عطف عليها بيان لجملة {نَتْلُو} [القصص:3] أو بيان لـ {نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ} [القصص:3] » (المصدر نفسه، الجزء20، الصّفحة9).

وهنا يظهر أنّ ابن عاشور تنبّه إجرائيّا إلى اتّصال سور القرآن ببعضها بعضا في اتّساق وانسجام سواء أ كان اتّصالا معنويا رغم اختلاف مقام ورودها أم اتّصالا عطفا، والشّاهد قوله " وهذه الجملة وما عطف عليها بيان لجملة {نَتْلُو}، ومثاله أيضا ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ((**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)) [البقرة:25]، فقد «جعل جملة {وَبَشِّر} معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين يعني جميع الذي فصل في قوله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} [البقرة: 23] إلى قوله: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 24] فعطف مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع... المعطوف ليس جملة على جملة بل طائفة من الجمل على طائفة أخرى» (المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة345).

فذكر الشّيء وقسيمه جاء في مقام العطف المبيّن للمعنى، والشّاهد قوله: "فعطف مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع"، أمّا قوله:" المعطوف ليس جملة على جملة بل طائفة من الجمل على طائفة أخرى"، فهي إشارة واضحة على أنّ المراد عطف نصّ على نصّ، وهو مفهوم يندرج ضمن مفاهيم نحو النّص الّتي أقرّها الغربيون في باب الاتّساق الوصفي بأدوات العطف، إلاّ أنّ مفسّرنا اصطلح على ذلك بعطف قصّة على قصّة مستفيدا مرّة أخرى من إحدى مفاهيم الجرجاني، والشّاهد قوله: «جعل السّيد الجرجاني لهذا النوع من العطف لقب عطف القصة على القصة» (المصدر نفسه، الجزء1، الصّفحة345).

ويتّضح من هذا التّفسير وعي ابن عاشور بمزيّة العطف الّذي يجعل الكلام يسير في نسق واحد في بيان دلالته وتمامه ممّا جعله وحدة متكاملة، فأسلوب القرآن «يسير على نمط متجانس دونما إخلال أو اضطراب أو تفاوت بين سورة وسورة، أو آية وآية، أو موضوع وموضوع» (الباقلانيّ، 1971م، الصّفحة205).

يتبيّن لنا من خلال ما سبق، أنّه كان لابن عاشور وقفات تفسيريّة مميّزة تترجم تمكّنه من ناصية اللّغة، وتترجم وعيه النّصيّ بمفاهيم الغربيّين الّذي يؤكّد إحراز السّبق بمفاهيم نحو النّص المتأصّلة في التّراث العربيّ.

خاتمة

ويمكننا في الأخير تسجيل أهمّ النتائج الّتي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث، ومنها:

- جمعت الدعوة لتجاوز الدّراسات اللّسانيّة حدود الجملة إلى فضاء النّص الدّرس اللّسانيّ الغربيّ والدّرس التّراثيّ العربيّ، خاصّة بعد الوقوف على منجزاتهما الّتي تتقارب مفاهميّا.

- تباينت مفاهيم مصطلح النّص؛ وذلك تبعا لاختلاف الاتجاهات وتعدّد النّظريات ممّا صعب إيجاد مفهوم مانع جامع، إلاّ أنّها لم تخرج النّص عن مفهوم البنية اللغويّة المتكاملة شكلا ومضمونا.

-كانت الوقفات النّصيّة للعلماء العرب في مختلف مصنفاتهم النّحويّة والبلاغيّة والنّقديّة تترجم وعيهم بأسس الصناعة النّصيّة ومختلف مظاهرها في الدّرس اللّسانيّ، جاعلة مدار دراستها القرآن الكريم إظهارا لتماسكه، وإبرازا لإعجازه.

- من بين تلك الوقفات الوقفة التّفسيريّة للطّاهر بن عاشور الّتي توصّل من خلالها إلى أنّ فكرة التّماسك والصياغة الكليّة للكلام لن يصلها البشر؛ ذلك أنّ النّص القرآني يملك قوّة وتأثيرا بتركيبه ونظمه تركيبا ونظما يخرج عن جميع وجوه النّظم المعتاد في كلام البشر، فهو يملك قوّة دلاليّة تجعل من نظمه نظما مميّزا منفردا معجزا.

-تنبّه ابن عاشور لأهميّة السياق اللّغويّ والمقاميّ في فهم دلالة الآيات من خلال دراسته لمختلف الظّواهر اللّغويّة الصّرفيّة والنّحويّة والبلاغيّة تناولا يكشف إدراكا لغويّا وحسّا معرفيّا.

- ركّز ابن عاشور في تفسيره على ثلاث آليات لتوضيح التّماسك القرآنيّ، وهي: المناسبة، والتّكرار، والثالوث الإحاليّ (بالعطف وبالضّمير وباسم الإشارة)، والاتّساق والانسجام، فقد شكّلت أدوات وظيفيّة رابطة لعناصر الآية وجامعة لمعناها.

- إدراك ابن عاشور لمفاهيم علم نحو النّص كالاتّساق والانسجام والإحالة وكذا التّكرار المعجميّ، وهي مفاهيم متأصّلة في المدوّنة العربيّة، تؤكّد أسبقيّة الدرس العربيّ، كما تبيّن استفادة ابن عاشور منها، ولعلّ أهمّها نظريّة النّظم للإمام عبد القاهر الجرجاني الّتي تعدّ من أهمّ النّظريات الّتي تحمل مفاهيم الدّراسات النّصيّة المعاصرة.

ومجمل القول إنّ التّماسك النّصي خاضع إلى هندسة معماريّة متعاضدة تعتمد على آليات مختلفة تتوزّع بأسلوب مخصوص، وتؤدّي وهي مجتمعة وظائف دلاليّة مع مراعاة الجانب المقاميّ وجانب التّلقي، وقد شكّل ذلك محور ارتكاز الدّرس اللّغويّ العربيّ عامّة والدّرس التّفسيريّ خاصّة، فالتّعاضد الوصفيّ والدّلاليّ مع مراعاة مقتضى المقام تمثّل خرسانة البناء النّصيّ وأعمدته الّتي يعوّل عليها لفهم النّص القرآنيّ أو غيره من النّصوص فهما صحيحا.

المصادروالمراجع

- أحمد عفيفي، 2001م، نحو النّص اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق.
- إبراهيم خليل، 2007م، في اللّسانيات ونحو النّص، دار الميسرة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1.
- بحيري سعيد حسن، 1997م، علم لغة النّص، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، بيروت، لبنان.
- الباقلاني أبو بكر محمّد، 1971م، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3.
- الجاحظ عمرو بن بحر، (د.ت)، البيان والتّبيّن، تح: عبد السّلام هارون ، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الجرجاني عبد القاهر، 2003م، دلائل الإعجاز، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان.
- خطابي محمّد، 1991م، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت والدّار البيضاء، لبنان والمغرب.
- دي بوجراند روبارت، 1418ه/1998م، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1.

- الزّمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، 1422هـ، أساس البلاغة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط1.
- سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر، 1985م، الكتاب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3.
- الشّافعي محمّد بن إدريس، 1358هـ/1940م، الرّسالة، تح: أحمد محمّد شاكر، مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ط1.
- الشّريف الجرجاني عليّ بن محمّد، 1985م، التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- الصبيحي محمّد، 2008م، مدخل إلى علم اللّغة ومجلات تطبيقه، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، ط1.
- الطّاهر بن عاشور محمّد بن محمّد، 1420هـ/2000م، التّحرير والتّنوير، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1.
- الطّبري أبو جعفر محمّد بن جرير، 1420هـ/2000م، جامع البيان في تأويل القرآن (المعروف بـ: تفسير الطّبري)، تح: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1.
- العبد محمّد، 1994م، حبك النّص، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، مصر.
- عليان يوسف سليمان، 2011م، النّحو العربيّ بين نحو الجملة ونحو النّص مثل من كتاب سيبويه، المجلّة الأردنيّة، الأردن.
- فولفغانغ إيزر، 1994م، فعل القراءة – نظرية جمال التجارب في الأدب، تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل.
- القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد، 1423هـ/2003م، الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط4.
- كريستيفا جوليا، (د.ت)، علم النّص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب.
- ابن منظور جمال الدّين، (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.